الفصل الثالث

وبزغت شمس الإسلام
وتغيرت مكانة شبه جزيرة العرب كلها

وبزغت شمس الإسلام
وتغيرت مكانة شبه جزيرة العرب كلها

إن بـزوغ شمس الإسلام في شبـه جزيـرة العـرب، وتمكنه من نفـوس أبنائهـا، ثم حملهم أمـانتـه إلى شتى بقاع العـالم المعـروف آنـذاك، في فترة من الزمـان وجيـزة بكل المعايير والمقـاييس، لمعجزة من معجـزات الزمان لا يعـرف كنهها الإ صـاحب الدين نفسه.. جلت قدرته.

فمن بين حضارات العالم، السابقة على حضـارة الإسلام، كانت هناك حضارات صاحبـة سلطان ونفـوذ، وصاحبـة ملك عريـض وممالك أو امبراطـوريات شـاسعة الأطـراف ولم يكن العرب أصحـاب شيء من هـذا، حتى وإن رد البعض بأنه كـانت لهم ممالك في اليمن أو على حدود الجزيرة بجوار بـلاد فارس أو الروم، فلم يكن هناك وجه للشبه بين حضارة المصريين القدمـاء الضاربة في التاريخ والتي استمرت لآلاف السنين في مصر، بجـانب تأثيرهـا فيمن حـولها، خـاصـة نـاحيـة الجنـوب في قلب إفريقيا، وعلى شطـان البحر الأحمر، أقول لم يكن هناك وجه للشبـه بين هذه الحضارة وأصحابها من الفراعنة الذين حكموا مصر من عـاصمه موحدة، وسجلوا حضارتهم على أوراق البردي، وعلى جـدران المعـابـد كما سنـوا قـوانين للبـلاد حكمـوهـا على أساسهـا، وتركـوا آثارا لم يمحهـا الزمـان إلى الآن، وبين التواجـد العربي المبعثـر على أرض شبه الجزيرة العربية.

إن العرب كمجموعـة بشرية كانت تعيش على رقعـة أرض خاصة بهم لم يحدث أن تجمعوا كلهـم في دولة واحدة، لها عـاصمة معترف بها طـوال تاريخهم قبـل الإسلام، وإنما هم تناثروا على أرض الجزيـرة في مجموعات قبلية كان بعضهـا أو معظمها يتحرك على الأرض تبعا للكلاء وللمرعى، والبعض الآخـر استقر في بعض المراكز الحضارية

مثل مكة، حول أول بيت وضع للناس، والذين كان تجمعهم بسبب استجابة الله عز وجل لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، أو في اليمن في بلاد سبأ، وكذا في أراضي الغساسنة والمناذرة.

ونستطيع أن نمضي في القياس والمقارنة بين عرب شبه الجزيرة، وبين الحضارات الأخرى في بلاد الصين والهند واليابان، وفي بلاد فارس واليونان والرومان، وفي جميعها سوف نجد أن الميزان يميل لصالح الحضارات الأخرى دون عرب الجاهلية، والذين كان البعض يعتبرهم حضارة هامشية تعيش على هامش الحضارات الأخرى، وخاصة حضارة الفرس وحضارة الرومان، في بلاد فارس وعلى حدود بلاد الشام على الترتيب.

فجأة ظهر نور الإسلام من قلب الجزيرة العربية، في مكة المكرمة، وأخذت الأنباء تتوالى إلى مواطن تلك الحضارات تتحدث عن دعوة يبشر بها نبي جديد، هو محمد بن عبدالله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وصارت الركبان تحمل أخبار ذلك النبي، وأخبار ما يلقاه من عنت واضطهاد من بني قومه، ثم وصلت أخبار المؤمنين الجدد إلى إفريقيا حين خرجت أول دفعة من المهاجرين المسلمين إلى بلاد الحبشة، حيث استقبلهم ملكها «النجاشي» وأكرم وفادتهم على مدار سنوات إقامتهم هناك، ودخل الرجل نفسه، أي النجاشي، الدين الإسلامي، ومات مؤمنا موحداً.

وضاقت مكة وشعابها بالمسلمين، وأمعن أهلها في اضطهاد المسلمين حتى سقط منهم شهداء من الرجال والنساء فأمرهم الرسول، صلى الله على وسلم، بالهجرة إلى المدينة التي فتحت لهم صدرها مرحبة، ووصلها المصطفى، صلى الله عليه وسلم، ليقيم فيها مسجده، وليؤسس للإسلام دولة سوف تكون عاصمتها هي المدينة المنورة، ورجالها هم المؤمنون الذين باعوا أنفسهم لله، وسوف يكون محمد، صلى الله عليه وسلم، المعلم الأسمى الذي بدأ تربيتهم في مكة، في دار الأرقم بن أبي الأرقم، هو حاكم تلك الدولة، والمنفذ لشريعة الله على الأرض.

ومن هذه البداية ظهرت، ولأول مرة، حضارة العرب التي ارتكزت على تعاليم الإسلام، ولذا كان من الإنصاف - دوما- أن تسمى حضارة الإسلام، وإنما العرب هم الذين بدأوها، وهم الذين حملوها إلى الدنيا، فكيف حدث هذا، وكيف أرسيت دعائم تلك الحضارة في هذه المنطقة من العالم.. ؟

وكانت البداية.. تربية:

تربية بدأها الرسول، صلى الله عليه وسلم، في مكة، في دار الأرقم ابن أبي الأرقم، أول مدرسة للإسلام، حيث عمل المعلم الأسمي، عليه أفضل الصلاة والسلام، على غرس بذور العقيدة في نفوس أصحابة الذيم آمنوا بالرسالة، والذيم تحملوا معه عنف المشركين واضطهادهم، ولقد ركزت تربية الرسول، صلى الله عليه وسلم، لصحابته على عدة أمور يمكن تلخيصها فيمايلي:

-ركزت على الإنسان.. روحا، يرتبط بخالقه، بحيث يستشعر وجوده معه في كل لحظة.. وفي كل مكان.

-وركزت عل الإنسان.. عقلاً، بكل ماحباه الله في هذا العقل من قوة إبداع وتفكير وتنظيم وترتيب.

-وركزت على الإنسان.. نفساً، بكل ما يشتمل عليه ذلك من صفاء وهدوء وتكيف مع الذات ومع الآخرين.

-ركزت على الإنسان.. جسماً، بكل ما أودعه الله فيه من قوة وحيوية ونشاط يسخرها لعبادة الله أولا، ثم يعمل - من بعد ذلك - لصالحه ولصالح الآخرين من حوله.

-وركزت على الإنسان.. خُلقاً، بحيث يتعامل مع الناس كما يحب أن يتعاملوا معه، وبحيث يحب لهم ما يحب لنفسه.

والإنسان - بهذا المفهوم - لا يمكن إعداده وتدريبه، بل وتنشئته منذ البداية، إلا من خلال التربية، التربية المسؤولة التي تضع لنفسها أهدافا واضحة، وخططا وبرامج مدروسة، بحيث تعمل كي تخرج لنا وللمجتمع ذلك الإنسان الذي تسعد به الحياة، ويسعد هو بها، الإنسان المتوافق مع ذاته ومع الآخرين.

وإذا كانت هناك تربيات - باتساع العالم، وعلى مدار التاريخ - قد نجحت وأفلحت في تخريج الإنسان الناجح في عدد من جوانب شخصيته، إلا أن الشخصية المتكاملة لم تتحقق على وجه اليقين إلا من خلال التربية التي ربي بها محمد، صلى الله عليه وسلم، أصحابه، بحيث أصبح كل واحد منهم يمشي على الأرض وكأنه قرآن متحرك، يستشعر مراقبة الرحمن، جل وعلا، له في كل حركاته وسكناته، ولذا فلم يكن غريبا أن يتغير مجتمع الجزيره العربية، من النقيض إلى النقيض، في عدة عقود من الزمان، هي في عمر الشعوب دقائق معدودة، كي تخرج منه عناصر رائعة تقيم حضارة إسلامية زاهرة اعترف بها وبعظمتها وسرعتها الأعداء قبل الأصدقاء.

حضارة أذهلت العالم، وقدمت له إسهاماً في كل مجال، من العلم.. إلى السياسة، ومن الاقتصاد.. إلى الاجتماع، ومن الجهاد في سبيل الله.. إلى البناء والتعمير، ومن البحث العلمي والتجريب.. إلى النظر والتحليل، وأهم من ذلك كله أنها قدمت له قيما عظمى نحتاجها كلنا الآن، ويحتاجها العالم معنا على وجه اليقين[1].

ونقرأ عن أسلوب النبي، صلى الله عليه وسلم، في تربية أصحابه، فقد كان «يغذي أرواحهم بالقرآن، ويربي نفوسهم بالإيمان، ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم عن طهارة بدن، وخشوع قلب، وخضوع جسم، وحضور

(١) محمد عبد العليم مرسي، مرجع سابق، ص ص ١٢ ـ ١٣.

عقل، فيزدادون كل يـوم سمو روح، ونقـاء قلب، ونظافـه خلق، وتحررا من سلطان الماديات، ومقاومة للشهوات، ونزوعا إلى رب الأرض والسموات، ويأخذهم بالصبر على الأذى، وعلى الصفح الجميل وقهر النفس [1].

وكانت الثمار.. رائعة:

حيث تخرج من مـدرسة الإسلام العظمـى، أو جامعته التـي لا نظير لها عبر قرون التـاريخ كلهـا، قـادة في كل مجال، وأئمـة في مختلف المجـالات، وعلماء في كل التخصصات، ومجاهدين في كل مناحي الحياة، يقـول عنهم خالد محمد خالد، رحمه الله:

«لقد جـاءوا إلى الحياة في أوانهم المرتقب، ويـومهم الموعود.. فحين كـانت الحياة تهيب بمن يجدد لقيمهـا الروحيـة شبـابها وصوابها، جـاء هـؤلاء مع رسولهم الكـريم مبشرين وناسكين..

وحين كـانت تهيب بمن يضع عـن البشريـة الـرازحـة أغـلالها، ويحرر وجـودهـا ومصيرهـا، جاء هـؤلاء وراء رسولهم العظيـم ثواراً ومحررين. وحين كـانت تهيب بمن يستشرف للحضارة الإنسانية مطالع جديدة ورشيدة، جاء هؤلاء روادا ومستشرفين.

كيف أنجز أولئك الأبرار كل هذا الذي أنجزوه في بضع سنين.. ؟ وكيف دمدموا على العالم القديم بإمبراطورياته وصـولجاناته وحولوه إلى كثيب مهيل.. ؟ كيف شادوا بقرآن الله وكلماته عالماً جديـداً يهتز نضرة.. ويتألق عظمة.. ويتفوق اقتدارا، وقبل هذا كله، وفـوق هذا كله.. كيف استطاعوا في مثل سرعـة الضوء أن يضيئوا الضمير الإنساني بحقيقة التوحيد، ويكنسوا منه إلى الأبد وثنية القرون.. ؟؟

تلك هي معجزتهم الحقة.. [2]

---

(١) أبو الحسن علي الحسني الندوي، مرجع سابق، ص ص ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) خالد محمد خالد: رجال حول الرسول، دار الفكر، بيروت (بدون تاريخ)، ص٨.

ويضيف كاتبنا الإسلامي، رحمه الله، بُعداً جديداً في شخصيات صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو «البعد النفسي» الذي لا يمكن أن يوجد إلا في ظل تربية إسلامية رائعة، وتدريب على ضبط النفس غير سهلٍ ولاهين، وأيضاً فإن معجزتهم الحقه تتمثل في تلك القدرة النفسيه الهائلة التي صاغوا بها فضائلهم، واعتصموا بإيمانهم على نحو يجل عن النظر. . !!

على أن كل معجزاتهم التي حققوها، لم تكن سوى انعكاس متواضع للمعجزة الكبرى التي أهلَّت على الدنيا يوم أذن الله - جلت قدرته - لقرآنه الكريم أن يتنزل، ولرسوله الأمين أن يبلغ، ولموكب الإسلام أن يبدأ على طريق النور خطاه. .[1] !!

إن هؤلاء الصحابه العظام الذين غيروا وجه الدنيا كلها، لاوجه جزيرة العرب فحسب، كانوا هم الثمرة الجنية الأولى لتربية الرسول، صلى الله عليه وسلم، ثمرة جهد وصبر وتعب وسهر المعلم الأسمي، عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد منح الرسالة العظمى والسامية كل ما لديه من طاقة ومن جهد، بل منحها حياته كلها، بكل ما في تلك الحياة من لحظات، عملا بقول الله عز وجل: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين**﴾ (الأنعام / ١٦٢-١٦٣).

يقول الشيخ محمد قطب، حفظه الله، عن هؤلاء الصحابة العظام أنهم المقصودون بقول الله عز وجل ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ (آل عمران/ ١١٠).

ولقد كانت خير أمة في تاريخ البشرية كلها، وقد حوت من ألوان العظمة في كل اتجاه ما لم يجتمع لأمة أخرى في التاريخ بهذه الوفرة، وذلك التعدد وتلك الآفاق،

---

(١) المرجع السابق، ص ص ٨ ـ ٩.

عظمات حربية، وعظمات سياسية وإدارية، وعظمات نفسية، وعظمات روحية، عظمات من كل نوع، وفي فترة وجيزة من عمر الزمان كأنها لحظات.. !!

وتلك الأمة هي التي وضعت أسس التاريخ الإسلامي المقبل كله، والتي رسخت قواعده على الأرض، بما قدمت من مبادئ وقيم ومثل عليا مطبقة في عالم الواقع بصورة فريدة في التاريخ، صورة يلتقي فيها المثال والواقع فلا تكاد تعرف من روعة العظمة المذهلة أيهما الواقع وأيهما المثال[1].. !!

ولكن.. ما سر هذه التربية الإسلامية العظيمة ؟

إن العالم، كله تقريباً، مشغول بقضية التربية قرب بدايات القرن الحادي والعشرين، وهناك أفكار تربوية كثيرة، وهناك فلسفات وتنظيرات، ونعقد للتربية مؤتمرات ونقيم ندوات، هنا في عالمنا، كما تقام وتعقد أمثال هذه الندوات باتساع العالم، وخاصة في العالم الغربي ولكن، وحتى الآن، لم نتوصل نحن، كما لم يتوصل غيرنا، إلى سر التربية الإسلامية التي أبدعها خير معلم للإنسانية، صلى الله عليه وسلم، ويقيني أن السبب يكمن في أننا غفلنا، كما غفل غيرنا، عن حقيقة هامة، رغم وضوحها وضوح الشمس، وهي أن منهج التربية الإسلامية التي أبدعها المصطفى، صلى الله عليه وسلم، نزل من فوق سبع سموات، من لدن حكيم خبير، وهو خالق البشر، جلت قدرته، ولذا جاء منهجه ليعالج أرواح ونفوس وعقول ووجدانات أولئك البشر، بل وحتى طموحاتهم في هذه الحياة الدنيا، وتربيتهم على أن هناك حياة آخرة بعد البعث، وينبغي على المسلم أن يسعى لها وأن يعمل من أجلها، وهي بذلك تربية من نوع جديد، والتربية بهذا الشكل «في أوسع معانيها تعني عمليات النمو التي يمر خلالها الإنسان من طفولته إلى نضجه ليتكيف

---

(١) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، الجزء الثاني، دار الشروق، القاهرة، ط٩، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ص١٥.

مع بيئته المادية والاجتماعية، وبذلك يتعدى المعنى الواسع للتربية، معناها التعليمي، ليتضمن المعنى الروحي والاجتماعي والاقتصادي والمهني . . الخ» كما يقول الخطيب وزملاؤه[1].

ويؤكد علي خليل على قضية «المنهج» المنزل من عند الله، جلت قدرته، لأنه منهاج كامل للحياة، يجد فيه من يريد فلسفة تربوية تجيب على جميع أسئلة الفلاسفة، وتحدد العمليات التربوية بعيدا عن النظريات الجدلية، والفروض الظنية التي تختلف فيها العقول، وتتعارض الأفهام [2].

ومن نافلة القول أن نعود فنؤكد على ان المعلم الأسمي، صلى الله عليه وسلم، كان هو المنفذ لكل ما جاء في القرآن الكريم من توجيهات وأوامر ونواهي، سواء تم ذلك من خلال سنته العملية، أو القولية (الأحاديث النبوية الشريفة) أو التقريرية، فالربط بين القرآن الكريم، المنهج المنزل من عند الله، سبحانه وتعالى، وبين سنة نبيه، صلى الله عليه وسلم، مطلوب لفهم طبيعة التربية الإسلاميه التي خرجت للعالم خير أمة أخرجت للناس، أو كما يقول «بكر»، «القرآن الكريم هو الإطار النظري في الإسلام، والحديث الشريف (السنة) هو الترجمة الحية له إلى واقع عملي»[3].

ويؤكد مقداد يالجن على تميز الإسلام باعتباره منهج حياة وسلوك، وأنه يقدر جميع متطلبات الإنسان الضرورية، وحاجاته الأساسية، ويقرر لها نصيبا من الحياة، بقدر

---

(١) محمد شحات الخطيب وآخرون: أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ص٢٧.

(٢) علي خليل أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي (القاهرة) ط٢، ١٩٨٥م، ص٤١.

(٣) عبد الجواد سيد بكر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، دار الفكر العربي، (القاهرة) ١٩٨٣م، ص٨٩.

تلك الحاجات، وبصورة متوازنة ومعتدلة، ومن ثم نجده قد قرر لكل جانب من جوانب الإنسان الفطرية من الناحية العقلية والروحية والجسمية نصيباً من الحياة المتوازنة، حتى لا يطغى بعضها على بعض، وحتى لايبقى الإنسان أسيرا لها ومحكوما بها، أو عبدا تسيره كما تشاء.[1]

ويوضح «متولي» أن نمط التربية الإسلامية التي استخدمها الرسول، عليه الصلاة والسلام، لم تكن تربية مدرسية بالمفهوم الضيق للتربية، وإنما كانت تربية شاملة، مدرسية ولا مدرسية، في المسجد، وفي الشارع، في المنزل، وفي المدرسة: في ميدان القتال، في الصلاة والصوم والزكاة والحج، وفي كل لحظة من لحظات الليل والنهار»[2].

غاية الأمر هنا أن تربية الرسول، صلى الله عليه وسلم، لصحابته - في ضوء القرآن الكريم - لم تترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الصحابة إلا وتعاملت معها، كما لم تترك شيئاً في كيان هؤلاء الصحابة إلا ومسته بحكمة ووعي بحيث أضحي هؤلاء الصحابة وقد تفجرت الطاقات الرائعة والخيرة الموجودة داخلهم. لقد تعاملت تربية الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، مع مطالب أجسامهم، ومع ومضات عقولهم، كما تعاملت مع خلجات قلوبهم، وهذا شيء يغيب عن جميع أنواع التربيات الأخرى، كذلك تعاملت مع روح الإنسان المسلم، وذلك أمر يغيب كذلك عن كل تربية أخرى.[3]

---

(١) مقداد بالجن: جوانب التربية الإسلامية الأساسية، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ص ١٣ - ١٤.

(٢) مصطفى محمد متولي: مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص١٥٨.

(٣) حسن إبراهيم عبد العال: مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية.. التربية والطبيعة الإنسانية، عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

ويتفق «يالجن» على هذا الشمول الذي تتميز به التربية الإسلامية، والتي تهدف إلى «تنشئة وتكوين الإنسان المسلم المتكامل من جميع نواحيه المختلفة: من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والإرادية والإبداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم التي أتي بها الإسلام، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها»[1]

ويبين النحلاوي الصلة الوثيقة - في التربية الإسلامية - بين القرآن الكريم، المصدر الأول لتلك التربية، وبين السنة النبوية المطهرة، المصدر الثاني لها، وكيف أن الاثنين معاً، واللذين لا ينفصلان عن بعضهما هما اللذان كانا من خلف ظهور الرعيل الأول من المسلمين الذين فتحوا الدنيا، ونقلوها إلى عصر الحضارة الإسلامية التي سادت العالم مئات السنين [2] ونفس هذه التوجهات نجدها عند باحث إسلامي آخر في التربية، هو علي خليل، ودراسته عن التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي تبين هذا وتوضحه[3].

أما «ولد أباه» فيحدثنا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والذي جعل منهاجه الأول تعليم القرآن الكريم، يتلقاه علماء الصحابة عنه، يكتبونه في الألواح والصحف والحجارة والعظام، يجتهدون في حفظه، ويقتصرون على آيات معدودات، لا يتجاوزونها حتى يعرفوا مافيها من حلال وحرام (كان الأولى بالكاتب أن يقول: حتى يعملوا بها، فلم تكن المعرفة فقط هي همهم.. وإنما العمل)، وإذا

---

(١) مقداد يالجن: أهداف التربية الإسلامية وغايتها، (بدون ناشر)، ١٤٠٦هـ، ص٢٠.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي: التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت مكتبة أسامة، الرياض، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) علي خليل أبوالعينين: التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي.. الركائز والمضامين التربوية، مطابع سحر، جدة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

حفظ أحدهم سورة البقرة جل فيهم (أي عظم في نظرهم) . . كما كانوا يتلقون أحاديثه، دون أن يكتبوها، مخافة أن يختلط بالقرآن الكريم ما ليس منه، وكان منهم الكثيرون الذين نشطوا في جمع الحديث . .)ولم يقتصر تعليم الصحابة على دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف، وإنما كان الرسول صلى الله علية وسلم مثالا بين أظهرهم، فكانت أفعاله وتقريراته كلها مدرسة حية، تبين التطبيقات العملية للتشريع الإلهي، وتتمم مكارم الأخلاق . . فجمعت هذه المدرسة النبوية تعاليم الوحي، وحكمة من لاينطق عن الهوى، صلى الله عليه وسلم، كما جمعت هذه المدرسة النبوية تنشئة أخلاقية قوامها عمل وعبادة، ورحمة وعدل، وسلوك قويم، سواء فيما يعني أداء الفريضة التعبدية، أو فيما يعني التصرف في المعاملات البشرية . (١)

ويربط سعيد اسماعيل بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة برباط محكم، لافكاك منه، حين يكتب « فالدين بما هو هدى إلهي يتصف بالمثالية والكمال، فهو تعاليم يتمثل فيها الحق المطلق، بناء على الكمال الإلهي في العلم الشامل بأحوال الوجود، والمحيط بمصلحة الإنسان في مختلف متطلبات حياته، كما أن الدين – والحديث عن الدين الإسلامي – حقيقة مصدعة(؟) لهدى الإنسان مطلقا من مفيدات وجوده الزمانية والمكانية، فهي في أوامرها ونواهيها تخاطب بالتكليف للناس على اختلاف أوضاعهم الذاتية . (٢)

ويبين الكاتب نفسه أن التربية الإسلامية لها بعد مهم تختلف فيه عن باقي

---

(١) محمد المختار ولد أباه: التربية الإسلامية بين القديم والحديث، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسكو)، بدون مكان نشر، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص١٤ .

(٢) سعيد إسماعيل علي: الأصول الإسلامية للتربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص١٣ .

التربيات الأخرى «إنها تبني فلسفتها على أساس أن الفرد حى في الدنيا، وصائر بعد ذلك إلى الآخرة، وله في الدنيا مطالبه وضروراته التي تحتاج إلى تنظيم وتشريع ولكن لا ينسي أن عمره محدود على الأرض، وأن طريقه في هذه الدنيا يؤدي إلى الآخرة». (١)

أما النقيب فيفرق بين «التربية الإسلامية»، والتربية الدينية، إذ أن الأولى، أي التربية الإسلامية، ليست تربية العاطفة الدينية فقط، أو تعليم العبادات أو بث الأخلاق، ولكنها تربية العاطفة.. والعقل.. والجسد.. والروح.. وكل أنواع السلوك التي تربي الفرد كي يسلك سلوكا إسلاميا موافقا لمنهج الله وشريعته.

والتربية الإسلامية - عنده - بهذه المعنى الشامل، وجدت مع ظهور الإسلام ووضوح تعاليمه ورسالته، ثم نمت وترعرعت في عصور القوة والازدهار، وفتحت أبوابها لكل الثقافات حتى أثمرت أجيالا متعاقبة من العلماء والمفكرين، ورجال السياسة، الاقتصاد، والحرب والسلام، والدعوة إلى الله. (٢)

ويؤكد الشيخ القرضاوي على التفرقة بين التربية الإسلامية وغيرها من أنواع التربيات الأخرى، وحتى داخل المجتمع الواحد، يؤكد على التفرقة بين التربية الإيجابية، والأخرى السلبية «وكل تربية إنما تتكيف بحسب الغاية منها حتى في الحيوانات (!!) فالبقرة التي تربى للبن، غير التي تربى للحم، غير التي تربى للحرث.. !!

وكذلك الإنسان والتربية، فتربية الانسان الوجودي، غير تربية الإنسان الشيوعي، وهما غير تربية الإنسان البورجوازي، أو الرأسمالي، وكلها غير تربية الإنسان المسلم. وتربية المسلم التقليدي غير تربية المسلم الإيجابي.. تربية المسلم في

---

(١) سعيد إسماعيل على: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٨.

(٢) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب: بحوث في التربية الإسلامية، الكتاب الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٢.

مجتمع يحكمه القرآن، وتسيطر عليه تعاليم الإسلام، غير تربية المسلم في مجتمعات تصطرع فيها الجاهلية والإسلام ويتنازعها الكفر والإيمان، والتحلل والالتزام.[1]

ونختم هذا الجانب المتعلق بماهية التربية الإسلامية بالعنصر الفارق - في رأينا - بينها وبين جميع أنواع التربيات الأخرى.. وهو عنصر الروح فيها، أو عنصر التربية الروحية، والتي أولاها نبي الإسلام، ومعلم البشرية، صلى الله عليه وسلم، أكبر عناية وأجلها، حتي حولت البشر الذين رباهم، الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم أجمعين، إلى بشر من نوع آخر، بشر يعيشون على الأرض، يمشون بين الناس يأكلون ويشربون، يقومون وينامون، يتعاملون ويجاهدون، ولكن أرواحهم معلقه برب السماء والأرض، يعيشون وكأنهم من فرط خشيتهم إياه يرونه بعيونهم، لقد رفضت امرأة مسلمة أن تتزوج عمر بن الخطاب، وهو أمير المؤمنين، ولكن رفضها كان وساماً يتمناه أي إنسان لأنها وصفت عمر، رضى الله عنه، بأنه رجل أذهله أمر آخرته عن أمر دنياه، وبأنه يعيش وكأنه يرى الله.. عز وجل، وبعبارات العقاد، رحمه الله:

إن امرأة واحدة ترفض عمر لأغلى في الشهادة من ألف امرأة يقبلن على بيته، ويطمعن في سلطانه، وقد وصفته امرأه خطبها ورفضته وصفا، لم نسمعه فيما قيل عن إيمانه أنه أصدق منه، ولا أوجز وأوفي، فقالت أم إبان بنت عتبة ابن ربيعة: إنه رجل«أذهله أمر آخرته عن أمر دنيا، كأنه ينظر إلى ربه بعينه».[2]

هذه هي الروح التي نعنيها، وهي أن يكون الإنسان، خريج مدرسة التربية الإسلامية، معلق قلبه بالسماء، يرى الله معه في جميع الأحوال، وقد عبر رسول

---

(١) يوسف القرضاوي: التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، مكتبة وهبة القاهرة: ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص٦.

(٢) عباس محمود العقاد، عبقرية عمر، مرجع سابق، ص٢١٦.

الله، صلى الله عليه وسلم، حينما سأله بعض الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم أجمعين، عن الإحسان، فقال أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وتلك لعمري قمة من قمم التربية الروحية لم توجد على وجه الأرض إلا في التربية الإسلامية.

يقول الشيخ محمد قطب: والإسلام يعني عناية خاصة بالروح.. إنها - في نظري - مركز الكيان البشري، ونقطه ارتكازه. إنها القاعدة التي يستند إليها الكيان كله، ويترابط عن طريقها. إنها المهيمن الأكبر على حياة الإنسان إنها الموجه إلى النور. يكفي أنها صلة الإنسان بالله.

والإسلام - في عنايته الفائقة بتربية الروح - هو دين الفطرة. فالحق أن الطاقة الروحية في الإنسان هي أكبر طاقاته، وأعظمها، وأشدها اتصالا بحقائق الوجود.

طاقة الجسم محدودة بكيانه المادي، وبما تدركه الحواس. وطاقة العقل أكثر طلاقة، ولكنها محدودة بما يعقل، محدودة بالزمان والمكان، بالبدء والنهاية، ومحكومة بالفناء.

وطاقة الروح وحدها، في كيان الإنسان، هي التي لا تعرف الحدود والقيود، لا تعرف الزمان والمكان، لا تعرف البدء والنهاية. لا تعرف الفناء. هي وحدها التي تملك الاتصال بما لايدركة العقل، هي وحدها التي تملك الاتصال بالخلود الأبدي، والوجود الأزلي.. تملك الاتصال بالله، كما أنها هي التي تملك الاتصال بالوجود كله من وراء حواجز الزمان والمكان.[1]

---

(١) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، الجزء الأول، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط٥، ١٩٨١م - ١٤٠١هـ، ص ص ٤١ - ٤٢.

ويمضي الشيخ :

كيف . . ؟ لا نعلم . . !! لكنا نحس . . !!

نحس بإشراقة الروح الصافية التي تشمل الحياة كلها في ومضة تشمل الآباد والآماد، نحس بسبحة الروح الطليقة التي تجوب آفاق الكون وتتصل بكل شيء حي فيه، والكون - كما يقول العلم - كله حياة . . !! نحس بتلك اللحظة الدقيقة العجيبة العظيمة الرائعة، التي يرتعش فيها الكيان كله، ويحس في أعماقه أنه يرى الله .(١)

(١) المرجع السابق، ص٤٢ .